

تقرير حول الجامعة الصيفية "الجنوب-الجنوب في وسط المسرح: تمثيلات وعلاقات وتفاعلات تتخطى الغرب في الدراسات العربية"

إعداد: سعاد التميمي
(طالبة دكتوراه، جامعة منوبة، تونس)

يرتبط مفهوم المعرفة بمفهوم الوجود، بما أنها هي الممثل الذي ينقل الفكرة من الوجود بالإمكان إلى الوجود بالفعل. لذلك يماهي فعل المعرفة غالبا فعل الوجود ويتطابق معه. وهو ما ذهب إليه المفكر الأمريكي Pedro Amaral بقوله
« To know something is just like being something ».

ويعني قوله إن المعرفة هي مشاركة في الوجود ومع ما ينسجم مع مبادئه الحقيقية. والعقل هو الوسيط في إدراك المعارف وفي تمثيلها عمليا. لذلك تبدو المشاركة مفهوما تبادليا بين طرفين أو أكثر قصد تطوير الأفكار وإثرائها أو نقدها وتقديم البدائل النظرية.

كما تدل المشاركة عادة على استعداد للإنفتاح وتقبل الآخر وتبادل المعارف والخبرات معه. وذلك يحتمه كون الإنسان إجتماعي بطبعه مثلما أشار ابن خلدون في مقدمته. لذلك فالتواصل مع الآخر مهما كان مختلفا هو مادة لإثراء الفرد إجتماعيا ومعرفيا. وقد أخذت الجامعة الصيفية من ذلك بطرف، المعنونة "بالجنوب-الجنوب في وسط المسرح".

لقد كانت مشاركتي في الجامعة إضافة على ثلاثة مستويات: **المستوى المعرفي**. وكان مناسبة لتوسيع معرفتي من خلال عديد المداخلات التي قدمها الزملاء. ومن ثم النقاش الذي يمثل ولادة أخرى للمداخلة المقدمة وتعديل لها. فكل مواجهة فكرية مع الجمهور، هي محاولة لتصحيح مسار الذات والخروج من ضيق الرؤية إلى إتساعها.

المستوى الذاتي/الشخصي: يتمثل أساسا في أن كل مشارك واجه ذاته، وعرف نقاط قوته والنقائص التي وقع فيها. لذلك فالخطوة التي لحقت آليا هذا الإكتشاف هو تعزيز نقاط القوة، كدافع للتقدم، ومحاولة سد النقص وتلافيه عن طريق الإطلاع أكثر على مواد علمية مختلفة أو الممارسة في حالة تحتاج المعرفة إلى دُرْبَة أو إلى إستقراء ومراجعة.

المستوى الإنساني، وهذا الجانب شامل وعابر لكل المستويات السابقة. والسبب أنه لا وجود لأي نوع من الإستفادة العلمية، إذا لم يكن هناك تفاعل إيجابي بين المشاركين وبين

المشرفين على الجامعة. فالعلاقة الأفقية بين الحاضرين ومرونة التواصل بينهم، ثمن الإحساس بروح الفريق والإهتمام بكل طرف فيه وبأفكاره ومشاغله، إهتماما مختلفا ونوعيا. وهو ما عبر عنه يورغن هابرماس في تثمينه لفعل التواصل ودوره في تنمية البعد الموضوعي الإنساني للعقل لذلك سمي مفهوم العقل عنده "بالعقل التواصلي".

مسألة أخرى لا بد من الإشارة إليها أن إختلاف المشارب الثقافية وتنوعها عند المشاركين، مثل عنصر إضافة. فالتقاش بينهم، خصوصا خارج وقت المداخلات الرسمية، مثل جامعة صيفية أخرى موازية لنشاطات الجامعة الصيفية الرسمية. فما حدث بعد المداخلات، أن كل حاضر أبدى رأيه ومساعدته في مستوى تقديم إقتراحات من أفكار ونظريات ومراجع وغيرهم. وهذا ما حصلته فعليا خلال الجامعة. فموضوع المداخلة التي قدمتها، مثل مادة لإثارة فضول معرفي عند بعض الحضور وطلب الإطلاع على تخطيط بحث الدكتوراه وتوارد الأفكار حوله.

وخلاصة القول إن الجامعة الصيفية بالنسبة إليّ، كانت مناسبة نوعية لإختبار الثقة في النفس وإستثمارها وتطوير مهارات التواصل، التي قد لا تظهر لنا أو لا نعرفها في أنفسنا، ويمكن أن نكتشفها عند التواصل والتفاعل المثمرين. والأمر ينطبق على زادنا المعرفي وتكويننا الأكاديمي الذي يُختبر ويُنشط ذاتيا بفعل التفاعل بين الأفكار والتلاقح بينها. وربما الحركة تتطور وتنتج أفكارا إبداعية.

وأعتقد أن كل مشارك حصل الفائدة بطريقة مختلفة وعزز طاقته في التفكير وفي مراجعة أفكاره وتحيينها. علاوة على محاولة تقديم أفضل ما لديه معرفيا وثقافيا وإنسانيا. فكل فرد هو ممثل لنفسه ولمستواه العلمي ووسيط غير مباشر لثقافة بلده ولحضارتها ولسعيها للتجديد والتقدم.

والجامعة كانت فرصة للتعلم وللخروج من صيغ النشاطات العلمية المألوفة (مثلما نجده في بعض المؤتمرات أو الدروس التقليدية داخل الجامعة أو خارجها مثلا)، إلى نشاط آخر قائم على التبادل العلمي وعلى المرونة في التواصل وتحصيل المعرفة من تجارب الحاضرين وخبراتهم.

ولعل من الفوائد الناعمة التي تم تحقيقها هو أنه كل مشارك قبل الجامعة، ليس هو ذاته بعد إنتهاء أشغال الجامعة. ويرجع الأمر أن كل فرد وضع لنفسه ولمستقبله خططا ومشاريعا جديدة. لذلك فمثل هذه المناسبات هو محفز لطاقة إيجابية وداعم معرفي ونفسي خصوصا للباحثين لتجديد تفكيرهم ونقده ومن ثم الإنخراط في حركتي التغيير والتطوير.